اسبوع الآلام المقدس

في الكنيستين السريانية والمارونية

بقلم الاديب يوسف افندي المدوَّر

ان الكنيسة المقدسة تدعو الاسبوع الاخير من الصوم باسبوع الآلام ذكرًا لآلام وموت سيدنا يسوع المسيح. وفيه تقيم احتفالات شتى، منها ما يمثل اعمال مخلصنا له المجد ومنها ما يذكر بذلك سرّ الفداء الثمين، فاحببتُ ان اتحف قرّاء المشرق المنير بكلمة آتي فيها على ذكر ما يقام من تلك الحفلات عادةً في الكنيستين السريانيَّة والمارونية اللتين وان اختلفتا قليلاً فهما متَّحدتان على وجه التقريب في الطقوس والرتب وكلتاهما تستعمل اللغة السريانيَّة مع ترجمة بعض آثارهما الى العربية. فاقول وبالفادي الكريم استعين

١ هيئة الهياكل

اذا دخلتَ ايها القارئ الكريم كنيسةً مارونية او سريانية كاثوليكية يوم احد الشعانين مساء، رأيت الهياكل مجلَّلةً بشارات الحداد والصور والتماثيل مغشَّاةً بالستائر السوداء، تلك هي عادة الكنيسة الشرقية بخلاف الكنيسة الغربية التي تستعمل اللون البنفسجي. اما الهيكل الكبير فانهم ينشرون امامهُ ستارًا كبيرًا يستر الحنيَّة العليا وينحدر حتى يغطّي المائدة المقدسة، مرسوماً في وسطهِ الصليب الخلاصي تحيط بهِ رسوم الآلات التي استُعملت لتعذيب الفادي الالهي، كالمجالد والحربة والقصبة في رأسها الاسفنجة والمسامير الثلاثة واكليل الشوك والمطرقة والكفّ التي لطمت الوجه الالهي. او مما لهُ تعلّق بالآلام كالسلّم الذي صعد عليهِ لتنزيل جثمان المخلص لهُ المجد. والكلبتين (الكمّاشة) اللتين اتخذتا لقلع مسامير اليدين والرجلين. وزهر النرد الدالّ على قول النبيّ: «اقتسموا ثيابي بينهم وعلى لباسي اقترعوا». وكالطست والابريق الدالّين على غسل بيلاطس يديهِ حين قال: «اني بريء من دم هذا الصدّيق» او انهما يشيران الى غسل السيد المسيح لأقدام تلاميذه بعد العشاء السرّي قبل آلامهِ

وعلى هذا الستار يشاهدُ رسم الديك الذي صاح حين انكر بطرس سيدهُ وكان صوتهُ باعثاً لتوبة زعيم الرسل وبكائه على إثمهِ البكاء المرّ . والشمس والقمر اللذان شملها الكسوف والخسوف حين أسلم ابن الله المتأنس روحهُ معلّقاً على الخشبة . وتحت صورة الصليب يشاهد الناظر جمجمةً يكتنفها عظمان ، هي جمجمة آدم ابي البشر الذي افتُدي وذرّيتهُ بصلب السيد المسيح وموته ، ويقال انها رمز للتقليد القائل بان صليب المسيح رُكز فوق قبر آدم

وبعضهم يرسمون حيّة في فمها تفّاحة رمزاً للحية التي بها طغى الشيطان امّنا حواء وحملها على معصيةِ الخالق بأكلها من الثمر المحرّم المرموز عنه بالتفّاحة . وبعضهم يرسمون المشاعل والمصابيح التي حملها الجند لمّا جاؤوا ليقبضوا على يسوع والحبال التي ربطوهُ بها ، ومجامر البخور الخ الخ

٢ الرتب والطقوس

تبدأ الكنيستان المارونية والسريانية بتلاوة صلوات اسبوع الآلام من بعد ظهر احد الشعانين ، فالسريان يقيمون بعد غروب الشمس رتبة يدعونها « هجمة العذارى » ذكراً لمثل العذارى الحكيمات والجاهلات الذي اوردهُ السيد المسيح تشبيهاً لملكوت السماوات . اما قوام هذه الرتبة فهو انهم يشرعون اولاً بتلاوة صلاة مساء الاثنين في كتاب فروض اسبوع الآلام وهو غير الفرض اليومي وبعدها يبدأون برتبة الهجمة حتى اذا وصلوا الى نقطة معيّنة خرجوا بزياح حاملين بايديهم الشموع مرتلين تراتيل ذات انغام محزنة دالّة على التوبة والندامة فيدورون اولاً في صحن الكنيسة دورتين وفي الثالثة يخرجون من بابٍ جنوبي او شمالي وقبل ان يبلغوا الى الباب الغربي يكون واهبُ الكنيسة قد سبق وأوصده ووقف وراءهُ . وعندما يبلغ اليه السائرون بالطواف ينقسمون فرقتين يميناً وشمالاً ثم يتقدّم الرئيس ويجثو على ركبتيه امام الباب . وان كان حبراً فيخلع التاج من على رأسهِ ويقول بالسريانية بنغم شجي مستطيل : « افتح لي باب مراحمك » مكرراً كلامهُ ثلاثاً وفي كل مرة يقرع الباب بصليب صغير وبعد المرة الثالثة يفتح الواهب الباب فينهض الرئيس ويدخل امام الشمامسة فالكهنة حسب الترتيب السابق الى امام المذبح حيث يتلون صلاة

الرتبة ثم يمنح الرئيس البركة للحاضرين بعود الصليب الكريم فينصرفون

اما الموارنة فلا يعملون هذه رتبة هجمة العذارى . الا انهم يبدأون باقامة صلوات الحاش (لفظة سريانية تأويلها الآلام) من هذه الليلة ايضاً . فيُطلبون كلمة : «هللويا» التي معناها التهليل والفرح ، وحيثما تلزم لقيام النغم والوزن يستبدلونها بلفظة : ܟܪܝܠܝܣܘܢ (يا رب ارحم) . اما ألحان صلوات هذه السبة فتقال «مشحلفة» اي مغيّرة بألحان محزنة . وينقطع الشمامسة عن قولهم ܚܕ ܚܕ ܡܪ او (بارك يا سيّد) في بداية ونهاية القطع الفردية والقراءات من العهد القديم واخبار الرسل ورسائل مار بولس وذلك من امارات الحزن الواجب في هذا الاسبوع

اما صلوات فرائض الآلام فلا فرق كبير بينها في الكنيستين . وهي تُقسم هكذا: صلاة المساء وتقال قبل غروب الشمس وتختصّ باليوم التالي اي انهم يصلّون قبل غروب شمس احد الشعانين صلاة مساء الاثنين . وبعدها صلاة الستار (ܨܠܘܬܐ) تقال بعد صلاة المساء عند الغروب . وكانوا في القديم ايام ازدهار اللغة السريانية يصلّون هاتين الصلاتين متتابعتين وينشدون بعدهما طلبة الآلام ثم يتفرقون على وعد الاجتماع بعد غياب الشمس بساعة او بساعتين لاقامة صلاة الليل . وهذه مؤلفة من اربعة اجزاء يدعونها قومات (ܩܘܡܬܐ) . فالثلاث قومات الاولى تشتمل كل منها على خطبة يقال لها : «حيّاية» اي الاستغفار ينشدها مَن كان جيّد الصوت يتبعها لحنٌ من الحان مار يعقوب او مار افرام ذو خمسة او ستة ابيات . اما القومة الرابعة فيبدأ بها بصلاة فردية يتلوها الرئيس واخرى يتلوها احد القارئين . ثم تتبعهما «تسبحة الاطفال» التي بدؤها «باركوا الربّ يا جميع مصنوعات الرب» مقسّمة على عدد ابيات اللحن التابع الذي يُقال ما بين جوقين . حتى اذا انتهوا منها يواصلون انشاد انشودة أخرى مخالفة للوزن المتقدم تُدعى «سوغيت» (ܣܘܓܝܬܐ) وقد يكون كل بيت من ابيات هذه الانشودة مبدوءا بحرف من الحروف الابجدية السريانية حسب ترتيبها . فاذا تمت شرع احدهم بتجويد الحيّاية تجويداً شجيًا وغالباً ما تكون باللغة العربيّة ليفهمها الشعب

وفي ابان ذلك يضع الرئيس او احد الكهنة بخوراً ويبخّر المذابح والشعب ، وكان قديماً ينزل في صحن الكنيسة مبخّراً الشعب يميناً وشمالاً كما هو جارٍ في الكنيسة

اليونانية فأبطلت هذه العادة وصار الكاهن يقتصر على التبخير من وراء البدرابزين في الحورس. وبعد ذلك يقرأون فصلاً من السنكسار اي اخبار الآباء وشذرة من اعمال السيد المسيح وثلاث شذرات من التوراة يسمونها قراءات. وفي غير هذه السبة يبدأ القارئ قائلاً: بارك يا سيد ويختم كذلك كل مقالة فيرفع الرئيس يده ويرسمه باشارة الصليب. اما في اسبوع الآلام فلا يستدئون البركة وذلك كما ذكرنا آنفاً من امارات الحزن. ثم يقرأون فصلاً من اعمال الرسل وفصلاً من رسالة القديس بولس حتى اذا انتهى القارئ هتف الشمامسة بتسلحين آيةً من مزامير داود او من اقوال الانبياء مقدّمةً لفصل الانجيل الشريف فاتحين قولهم وخاتمينهُ بلفظتي: «هِمْ هِمْ» بدلاً من هليلويا فينتصب الرئيس ويتلو فصلاً من الانجيل

وعندما ينتهي منه ينزل فيقف عند الدرجة السفلى والكهنة من عن يمينه والشمامسة من عن يساره فيعملون رتبة السجدة لصورة المصلوب المصعود على المذبح وهو مغشّى بالسواد مترنمين ما بين جوقين بالمزمور ١٤٨ الذي اوله: «سبحوا الرب من السماوات» وبعده المزموران ١٤٩ و ١٥٠ وفي آخر كل جزء يقولون «ولك يحق المجد يا الله» ويسجدون ثلاثين الارض. فاذا أتموا السجدة عادوا فكمّلوا صلاة الليل قائلين الدوكسولوجية من ما يعقوب واحرى من مار افرام. فالاولى يختمونها: «ايها اليهود هوذا يُترك لكم بيتكم خراباً (متى ٢٣: ٣٨)، فلا نجد ولا ملك ولا نبي...!» والثانية يختمونها بما معناه: «قالت البيعة للمسيح اني اذهب معك يا ديّان الاحياء والاموات. وعندما تدين انت الشعب اللعين فلا تحكم عليّ بحكمك الرهيب» ثم يتبعونها بانشودة الختام (المدراش صحوهلا) ولها اوزان والحان مختلفة. فاذا تمّت صلاة الليل فعند الموارنة تمنح البركة بالصليب المقدس، وهي رتبة مؤثرة تهيب بالقلب الى الخشوع

هكذا كانوا يصنعون في القديم أيام لم يكن للضجر والملل منفذ الى القلوب وكانت اللغة السريانية زاهرةً ولاسيما في جبل لبنان. اما في هذه الايام فحبًّا بالاختصار ولكيلا يتطرأ الضجر الى قلوب الحاضرين امسى كثيرون يبدلون صلاة الليل بصلاة الستار التي هي اقصر الصلوات ولا يقيمون رتبة السجدة للصليب مع ما فيها من الخشوع وما تستدعي من التأثر. وبعضهم يقولون من صلاة الليل القومة الرابعة اي

الاخيرة ليختمرها بالسجدة للصليب ضاربين صفحاً عن الثلاث قومات الاولى . ذلك ما يُصنع في كلّ ليلة حتى ليل السبت العظيم . وفي الصباح كانوا يصلّون صلاة الصبح المؤلفة من ٧ الحان بين كل منها وآخر ابتهال وجيز يتلوه احد القارئين بالعربية وبعدها سوغيث ثم حِنّاية وثلاث قراءات من العهد القديم وفصل من اعمال الرسل ومن رسالة مار بولس ثمّ الانجيل . ويختمون الصلاة بانشودة مار يعقوب او مار افرام . وكانوا عند الضُحى او منتصف النهار يصلّون الساعة الثالثة والسادسة والتاسعة ولكن قلّ من يقيم هذه الصلوات في هذا العصر الذي كثرت فيه الاعمال الدنيوية فشغلت معظم اوقات الناس ، الّا في بعض الاديار والمدارس الاكليريكية العامرة حيث لا شاغل يشغلهم عن إقامة الحفلات والرتب في اوقاتها

وفي بعض الجهات جرت عادة الكنيسة المارونية على عمل رتبة القنديل (١ يوم الاربعاء الذي فيه تذكار ايوب الصدّيق . فبعد صلاة الليل يتّجه الرئيس والكهنة والشمامسة الى امام المذبح الكبير حيث يكون وضع القنديلت مائدة صغيرة عليها طبقٌ فيه سبع فتائل مغموسة بالزيت رمزاً للسُرج السبعة التي رآها زكريا النبي ويوحنا في جليانه . والرتبة مقسمة الى ٧ اجزاء كل منها يشتمل على انشودة وصلاة وفصل من الرسائل وشذرة من الانجيل . فيبارك الرئيسُ اولاً الزيت ثم يبتدئون بالرتبة وكلما انتهوا من قسم شعلوا فتيلةً من الفتائل السبع واخيراً يتقدم الشعب فرداً فرداً حاسرين عن رؤوسهم فيدهن الرئيس جباههم بذلك الزيت قائلاً : «ليكن لغفران خطاياك ولمحو ذنوبك ولصحّة نفسك وجسمك» . والفائدة من هذه رتبة القنديل انما هي «التوسل اليه تعالى ان يقبل توبة التائبين ويمنح الموضى الصحة» (كتاب توزيع الاسرار عند الموارنة)

٣ خميس الاسرار

كلّ يعلم ان في مثل هذا اليوم رسم المخلّص لهُ المجد سرّ القربان الاقدس في العشاء السرّي الذي تناولهُ مع تلاميذه الاثني عشر في علّيّة صهيون . فتذكاراً لهذا الحادث العظيم يقيم السريان في صباح الخميس تداساً كبيراً يشترك فيه كهنة الكنيسة

(١) هذه الرتبة جارية ايضاً في اواسط الصوم عند السريان

اجمعهم تمثلاً باشتراك السيد المسيح مع تلاميذه بأكل خروف الفصح ، وعليه فلا يكون هناك سوى قداس واحد عام . فالداخل الى كنيسة السريان يرى في وسط الكنيسة منصةً مرتفعة وُضع عليها مائدة مستطيلة مفروشة مزيَّنة تكفي لان يقف حولها كل كهنة الكنيسة ويحضرون على المائدة آنية التقديس لكل كاهن . وفي الرأس المقابل لجهة الشعب صليب حوله الشموع وبعض الازهار . فاذا حان وقت القداس ارتدى الكهنة ملابسهم الكنسيَّة في خزانة الكنيسة واما الرئيس فان كان حبرًا فهو يلبس ملابس التقديس على احد المذابح وحينئذٍ لا يرتدي الكهنة الوشاح الفوقي (الغفارة) بل يحمل كل منهم وشاحهُ على زنده ويأتون فيقفون امام الرئيس فيباركهم وعندئذٍ يضعون الوشاحات على اكتافهم وهي ذات الوان زاهية

ثم يتقدمون الى المائدة فيتخذ كل منهم مكانهُ وحذاءهُ خادمٌ يقدّم لهُ آنية التقديس والبخور ويشرعون بالقداس قائلين المقالات الجهريَّة متناوبةً . الَّا انهم في هذا القداس لا يقولون التقديسات الثلاثة : قدُّوس الله الخ بل بدلًا من ذلك يقولون بالسريانيَّة ما معناه : « ايها المسيح الذي بفصحه جدّد خروف الفصح فبجاه فصحك أبهجنا وارحمنا » مكررين ذلك ثلاثاً . ولا يتبادلون السلام ولا يقول الرئيس : السلام لجميعكم . اما كلام التقديس الجوهري فيتلونهُ معاً بصوت عالٍ وبتأنٍ حتى لا يسبق الواحد الآخر . وفي خلال هذا القداس يوزّعون المناولة الفصحيَّة ولا يحصرون التوزيع في واحد منهم بل يناول كلٌّ من المقدّسين مَن هم حولهُ ووراءهُ . اما الرئيس فيكون قد قدَّس على قربانتين فتناول واحدةً وابقى الثانية فتبقى نهاية القداس يضعون القربان الباقي في حقَّة ثمينة يحملها الرئيس فيدورون امامه طوافاً في باحة الكنيسة ثم يعودون الى المكان المعدّ «لحبس» القربان فيضعونهُ هناك ثم يسجدون وينصرفون

اما قولنا «حبس القربان» فهي كلمة اصطلح عليها الشرقيون للتعبير عن الصمدة المزيَّنة التي يعدّونها في جهة من جهات الكنيسة لحفظ القربان اذ ينقلونهُ عن المذبح الكبير . وهذه عادة جرى عليها جميع الطوائف الكاثوليكية شرقية وغربية فهي اذًا معروفة لدى الجميع لا حاجة للاسهاب بشأنها

أما الموارنة فلا يحتفلون بهذا قداس الفصح المشترك مع انه كان في القديم من جملة رتبهم . وقد رأينا في بعض كتبهم الطقسية ما يدلُّ على ذلك . بل ان الكهنة

يقدسون كلٌ بمفرده متوشحين بالابس التقديس الزاهية اللون خلافاً لسائر ايام الاسبوع . وقد قرأنا في كتاب رتبهم ما نصُّهُ : « يوم الخميس بعد صلاة الصبح يُنزع السواد من على المذبح الكبير ويُصمد بازائهِ ابيض . . . » فهم وان كانوا قد ابطلوا إقامة صلاة الصبح الجمهورية فما زالوا حافظين عادة نزع الستار الاسود من امام المذبح واقامة قداس صارخ ينقلون في ختامهِ القربان المقدس ليحفظ في المكان المذكور آنفاً للسجود لهُ كل هذا النهار والليل بعده

٤ رتبة غسل الارجل

هي رتبة تمثل غسل السيد المسيح لأرجل تلاميذه من بعد ان تعشّوا العشاء السرّي . تصنعها الكنيستان تقريباً على نمط واحد مع فرق جزئي ويُحتفَل بها عادةً نحو الساعة الثالثة بعد الظهر . فاذا أُزفت هذه الساعة قُرع الجرس ليجتمع الشعب (١)

ويكون الواعف قد سبق فجهّز في وسط الكنيسة اثني عشر كرسيًّا في صفَّين متقابلين وما بينهما الى الجهة السفلى كرسي كبير وجهه الى جهة المذبح وعليهِ الملابس الكهنوتية . فاذا دخل الكهنة للصلاة يخرج الاثنا عشر تلميذاً من السكرستيا تتقدمهم راية الصليب المقدس فيذهبون يجلسون على كراسيهم في وسط الكنيسة . والكهنة والشمامسة يبدأون رتبة الغسل كما في صلاة الفرض فاذا بلغوا الى رسالة بولس الرسول ينزل الرئيس ومعه معاونان او اكثر الى حيث نُصب لهُ الكرسي الكبير فيرتدي الملابس الكنسية ويجلس على عرشه . والتلاميذ يخلعون احذيتهم من ارجلهم اليسنى فقط ثم يُتلى فصل من الانجيل القديس يوحنّا الذي يخبر حكاية الغسل وعند ما يبلغ الكاهن القارئ الى قول الانجيلي : « قام عن العشاء وخلع ثيابه » يبدأ ينشد هذا الكلام بنغم مستطيل

فينهض حينئذٍ الرئيس ويخلع عنهُ الوشاح الكبير والتاج اذا كان حبرًا متتبعاً كلام الانجيل اي انهُ يعمل كما عمل المخلص اذ اراد غسل ارجل تلاميذهِ فينشدّ

(١) ان الكنائس الشرقية لم تتفق على خطَّة واحدة بشأن دقّ الجرس من خميس الاسرار الى السبت العظيم فمنهم من اتخذوا طريقة الكنيسة اللاتينية بألّا يدقوا الجرس كليةً ومنهم من يدقهُ دقّات الحزن كما يُدَقّ للميت . ولئلّم يحسنون لو منعوا دق الجرس قطعياً

وسطه بمنديل ، ومتى قال الانجيليّ : « وصبّ ماء في مطهرة » ينحدر الرئيس ويجثو على ركبتيه امام التلميذ الذي من عن يمينه ، فيصبّ له المعاون الماء على رجل التلميذ وهو يدعكها بالصابون ويغسلها ، فيصل القارئ الى القول : « وكان ينشفها بالمنديل » فيأخذ منشفة من المعاون الثاني وينشف رجل التلميذ ثم يقبلها اقتداء بالمعلم الالهي في ذلك الاتضاع العجيب ، ثم يغسل رجل الثاني والثالث ثم ينهض ويعود الى عرشه ويتشح بالوشاح ويجلس . فيصمت قارئ الانجيل والمرتلون يرتلون بيتاً من انشودة عربية بنغم سرياني . فاذا انتهوا اعاد قارئ الانجيل الكلام الاول « قام من العشاء » فينهض الرئيس ويصنع كما صنع اولاً لكنهُ يغسل ارجل الثلاثة الذين عن يساره ويرجع الى عرشه والمرتلون ينشدون بيتاً آخر . ثم ينهض عند قول الانجيليّ « قام من العشاء » ويذهب يغسل ارجل الثلاثة الباقين في الصف اليميني ويعود الى مكانه

وبعد انتهاء المرتلين من البيت الثالث ، يهتف الانجيليّ مكرّرًا كلامهُ : « قام من العشاء » فيقوم الرئيس ويجري كالاوّل ويغسل رجلي اثنين فقط ممّن هم في آخر صف الشمال فاذا انتهى الى الثالث الاخير المثّل لبطرس وقف هذا وامتنع ، فتجري بينهما المحاورة التي جرت بين السيد المسيح وزعيم الرسل ، فيقول بطرس متعجباً : أنت يا سيدي تغسل قدميّ ؟ — الرئيس : ان الذي اصنعه لست تعرفهُ الآن لكنّك ستدركه فيما بعد — بطرس : لن تغسل رجليّ ابدًا — الرئيس : ان لم اغسلهما فليس لك نصيب معي — بطرس : اذًا يا سيدي لا تغسل رجليّ فقط بل يديّ ورأسي ايضاً — الرئيس : ان الذي قد اغتسل لا يحتاج الّا الى غسل رجليهِ لانه كلهُ نقي ، وانتم انقياء ولكن لا جميعكم (يوحنا ١٣ : ١٥) . ثم يغسل لهُ رجلهُ ويقبلها ويرجع الى مكانه وقارئ الانجيل يتمم الفصل والمرتلون ينشدون تتمة الانشودة السابقة . واذ ذاك ينهض التلاميذ ويسيرون امام الرئيس تتقدمهم راية الصليب المقدس عائدين الى الخزانة والرئيس والكهنة يختمون الرتبة بانشاد (ححمال) طلبة مار يعقوب بالسريانية .

واعلم انه في يوم خميس الاسرار يُحتفَل في الكرسي البطريركي بتقديس الزيوت : زيت العماد وزيت مسحة المرضى وزيت الميرون . على انهما رتبة يقوم بادائها السيد البطريرك او الاسقف نائبهُ فقط

٥ الجمعة العظيمة

ان الكهنة قاطبةً لا يقيمون الذبيحة الالهية في صباح الجمعة العظيمة لان في مثل هذا اليوم قدَّم فادينا الالهي نفسهُ ذبيحةً دموية على جبل الجلجلة لخلاص الجنس البشري. على ان الكنيستين الشرقيتين اللتين نحن بصددهما تحتفلان بقداس رسم الكاس السابق تقديمه. وقوام ذلك انهم يدخلون الكنيسة ساعة شروق الشمس فيقيمون صلاة الصبح . وبعد يتوشح احد الكهنة بملابس التقديس وعند الموارنة يلبس «الغفارة» بدلًا من البدلة اللاتينيَّة ويتقدم وامامهُ الشمامسة والخدَمة الى الهيكل الكبير ويشرع بهذا القداس على حسب نسق خاصّ به في كتاب القداس ولا يُتلى الكلام الجوهري لكنهم يتوجهون حيث القربان محفوظ من يوم الخميس فيخرجه رأس الشمامسة او الكاهن ويسلّمهُ الى الرئيس فيعودون بزياح منشدين اناشيد محزنة حتى يبلغوا الى الهيكل الكبير فيتمم الرئيس القداس ويتناول هو ويتناول من شاء التناول من الحاضرين. الَّا انهم لايتركون شيئاً من القربان وحيثما وُجدت ضرورة لابقائهِ فهم يحفظونهُ في معبد خاصّ او في خارج الكنيسة

٦ رتبة رفع المسيح

تقام تمثيلًا لتنزيل جثمان الفادي الكريم من على الصليب ووضعهِ في القبر. ان هذه الرتبة فيها بعض الفرق بين الطقس السرياني والماروني . ففي الكنيسة السريانيَّة يصعدون صليباً عادياً على مائدة المذبح الكبير ومن عن يمينه ويساره شمعتان فقط. اما شمعة اليسار فتكون مصبوغة بالاسود تمثيلًا للصّ الشمال الذي قطع رجاءهُ ومات فهلك. وامام الصليب يضعون اطباق البخور وآنية فيها العطور والقطن

ويبدأون اولًا بفرض الساعة التاسعة ثم يتبعونها بصلاة الرتبة وعندما يقرأون قصَّة خلاص اللصّ اليميني وهلاك اللص الشمالي يتقدَّم احد الكهنة فيطفئ شمعة اليسار ويكسرها . ثم يضع رئيس الكهنة بخوراً ويبخر المصلوب هو اولًا ثم يتناوبون التبخير حسب درجاتهم الاكبر فالاصغر وعند تبخير كل واحد منهم ينشد والمرتلين بالسريانية ما ترجمتهُ : « اننا نسجد لصليبك الذي بهِ صار الخلاص لانفسنا ، ومع

اللص نهتف اذكرني يا رب اذا جئت في ملكوتك »

ومتى انتهوا من التبخير يسيرون طوافاً في باحة الكنيسة والرأس يحمل الصليب وراء الكل والكهنة يحملون اطباق البخور وآنية الطيب الى ان يصلوا الى منصّة في طرف الكنيسة الغربي يصعد اليها الرئيس فيقدمون لهُ البخور والطيب فيخلط بها الصليب ويلفُّهُ بالكتّان ثم يضعهُ في نعش يحملهُ اربعة من الكهنة او من الخاصة ويكملون طوافهم منشدين الاناشيد المحزنة حتى يصلوا الى الهيكل الكبير فيضعون الصليب في قبر معدّ تحت مائدة المذبح الكبير ويطبقون عليهِ بلاطةً مكتوباً عليها هذه الآية : « يموت الصدّيق مهاناً ويُدفَن مكرّماً ويكون قبرهُ ممجّداً » ويختمونها بالشمع الاحمر

اما في الكنيسة المارونية فبعضهم يقيمون هذه الرتبة قبل الظهر بساعتين اما في المدن العامرة فيحتفلون بها الساعة الثالثة بعد الظهر ، وهاك ما يجري عادةً : يرفعون فوق المذبح الكبير صليباً كبيراً عليهِ صورة المصلوب مجسّماً قابلاً للفكّ والتنزيل مغطّى برداء رفيع اسود ويفرشون تحتهُ الازهار . وعن يمينهِ ويسارهِ شمعتان فقط مطفأتان فاذا حان وقت الشروع بالرتبة يدخل الكهنة والشمامسة لاقامة الصلاة التاسعة وفيها يقرأون قصّة آلام المخلص وحكاية تنزيل جسده الطاهر ودفنه من كتاب السنكسار . ثم يُقرأ انجيل لوقا المخبر عن خلاص اللص اليميني فتُشعل حينئذٍ الشمعة التي الى يمين المصلوب وتظلُّ اليسرى مطفأة . ويكشف احد الكهنة الغطاء عن الصليب . وبعد الصلاة التاسعة يواصلون بصلاة الرتبة . ومتى انتهى الكاهن من قراءة فصل الانجيل المخبر عن موت المخلص وتنزيل جسدهِ المكرّم يرتدي رئيس الخورس ثياب الكهنوت وغفّارة سوداء واثنان من الكهنة او الشمامسة يلبسان درعاً نصفياً وبطرشيلاً من كتف الشمال الى تحت إبط اليمين كالشماس وهذان يصعدان الى جانب المصلوب فيقف كلٌّ من ناحية . فيتلو الرئيس صلوةً لنزع الاكليل وبعدها يرتّل المرتلون ترتيلاً محزناً من الوزن المشهور بـ (عمر وصحص) . وفي اثناء ذلك ينزع الكاهنان الاكليل عن رأس تمثال المصلوب ويضعانه في طبق معدّ لهُ ثم يستتلي الرئيس بالصلاة لنزع مسماري اليدين فيرتّل المرتلون والكاهنان يخلعان المسمارين ويضمّان الذراعين الى الجسم وهكذا يجري لمسمار الرجلين وتوضع المسامير في طبق

كالاكليل . كلُّ هذا واعين الشعب شاخصةٌ لهذا المنظر المهيب مغرورقة بالدموع تخشعاً

ثم يحمل الكاهنان شخص المسيح بين ايديهما ويدفعانه الى الرئيس الذي يضعهُ في النعش المجلل بالزهور فيُحمَل بين اربعة والكاهنان يحملان طبقي الاكليل والمسامير ويطوفون في الكنيسة باحترام والرئيس يضع بخوراً ويُبخِّر النعش وهو سائر امامه بينما المرتلون يرتلون التراتيل المحزنة . ومتى كمل الطواف يضعون النعش على منصَّة امام المذبح وعندئذٍ يصمت المرتلون فيقول الكهنة بالسريانية ما ترجمتهُ : «ايها المسيح الذي صُلبت لاجلنا ارحمنا» مكررينها ثلاثاً وفي كل مرَّة يصنعون مطانيَّةً ويقبِّلون الارض . وبعد ذلك يحملون شخص المصلوب الى حيث اعدُّوا لهُ القبر تحت احد المذابح الصغيرة فيضعونهُ فيه بين الازهار ويلقون فوق القبر لوحةً مكتوبة عليها الآية التي ذكرناها آنفاً . ثم يأخذ كاهن بين يديه صليباً صغيراً يعرضهُ للشعب ليقبلوه قبل خروجهم من الكنيسة

وقد اخذ الموارنة هذه رتبة التنزيل عن رهبان الارض المقدسة الفرنسيسيين مع بعض التصرُّف . اما في القديم فكانوا يدفنون الصليب بين الازهار كرتبة السريان لكن بدون تحنيط بالبخور والطيب

٧ يوم السبت العظيم

تُقام القداسات في صباح هذا النهار كباقي ايام الاسبوع بالبدلات السوداء — فالموارنة قبل الظهر بساعة يكونون قد نزعوا علائم الحزن من الكنيسة وزينوها بافخر زينة فيأتي الرئيس والكهنة والشمامسة ويقفون للصلاة التي يدعونها صلوة الغفران (ܨܠܘܬܐ ܕܚܘܒܐ) وموضوعها الاستغفار عن الذنوب والحث على مسامحة من أذنب وإزالة الحقد استعداداً لعيد قيامة الغادي المجيد . اما أنغام هذه الصلاة فمفرحة يقولون فيها هلليلويا و(ܚܢ ܚܢܢ) . وعند النهاية منها يكون قد حان الظهر فيدقُّون جرس الكنيسة ويتلون صلاة التبشير وبعدها يقف الرئيس في باب الدرابزين فيتقدمون واحداً فواحداً ويقبلون يده فيقول لكل منهم : السلام لك . . .

وعند السريان يظلّ احد الكهنة صائماً من نصف ليل السبت الى ما بعد ظهر هذا النهار ونحو الساعة الخامسة يحتفلون بصلاة المساء احتفالاً فخيماً ثم يقيم الكاهن الصائم قداساً صارخاً في تلك الساعة المتأخرة من النهار وكثيرون يتقدمون من المائدة السرّية وهم بعد قائمون على الطوى حتى تلك الساعة . وهذا الاحتفال يصنعه الارمن والكلدان ايضاً (١

٨ احد القيامة المجيدة

اعتاد الموارنة ان يحتفلوا في القيامة بقداس نصف الليل كما في عيد الميلاد . فاذا كانت الساعة ١١ ليلاً سمعت اجراس الكنائس ترنّ مؤذنةً بقيامة السيد المسيح من بين الاموات . وفي اثناء القداس الكبير يعملون رتبة يسمونها « رتبة السلام » فينتحونها بكلام السيد لهُ المجد لتلاميذه : السلام استودعكم سلامي أعطيكم . ويقرأون شذرةً من رسالة بولس الى اهل رومية (١٦ : ١—٢٤) الذي فيها يبعث الرسول سلامهُ وسلام معاونيهِ الى كل من عرفهُ او تعب لاجلهِ . وبعد قراءة فصل من انجيل يوحنا (١٥ : ٧—١٤) الذي يوصي فيهِ السيد تلاميذه بمحبة بعضهم بعضاً كمحبة الآب لهُ ومحبتهِ للآب ، يقصدون جميعاً الى القبر حاملين الشموع المضيئة . فيقف رئيس الخورس ويضع بخوراً ويبخر القبر ثلاثاً قائلاً مع الكهنة ما حرفيّته : ايها المسيح الذي قام من بين الاموات ارحمنا . ثم يكشفون ستار القبر فيأخذ الرئيس الصليب منهُ (يكون الواهب قد سبق ورفع المصلوب الكبير الذي دُفن بالامس ووضع مكانهُ صليباً صغيراً يمكن حملهُ) ويضع عليهِ رداء ابيض ثميناً

ويسير الجميع طوافاً في الكنيسة ويتقدّم الموكبَ شمّاسٌ حاملاً صورة القيامة وهم يرتّلون اناشيد القيامة مردّدين التهاليل بقولهم آخر كل بيت هلليلويا . وفي آخر القداس يوزع الرئيس على الشعب الازهار التي كانت في القبر بركة وتذكاراً

وهذه الرتبة عينها مع بعض التصرّف يقيمها السريان ويزيدون عليها انهم ينصبون الصليب على يمين المذبح الكبير ويظلّ هكذا مدة ٤٠ يوماً اشارةً الى المدة

---

١) هذا القداس الاحتفالي كان في اوائل الكنيسة يجري في نصف الليل ثمّ قدّموهُ الى مساء النهار السابق تخفيفاً على المؤمنين في بلادٍ كان الخروج فيها ليلاً كثير الاخطار

التي قضاها المخلص متردّدًا على الارض بعد قيامته وقبل صعوده الى السماء.

هذا ما عنّ لي ذكرهُ بهذا الشأن واني اسأل الفادي الكريم ان يعيد امثال هذه التذكارات الفخيمة والمواسم الجليلة على قداسة إمام الاحبار رأس الكنيسة المنظور والسادة الاساقفة وكلّ ابناء الكنيسة الجامعة سنين كثيرة. وشدّ ما كان فرحنا عندما قرأنا مؤخرًا بان الكنيسة اليونانيّة قرّرت ان تحذو حذو حكومتها باتباع الحساب الغربي. فعن قريب ان شاء الله لا يعود يُسمع بذلك الفرق المشين بين اعياد الامم المسيحية. والله تعالى نسأل ان يلهم المنفصلين نعمة الانضمام الى وحدة الكنيسة الجامعة ليتمّ ما شاءه قلبه الاقدس بان تُصبح الرعيّة كلها واحدةً لراعٍ واحد

المخطوطات العربيّة لكتبة النصرانية

للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

تتمّة لحرف الباء

٨٦١ ﴿يوساب راهب الاسقيط﴾ في القرن السابع عشر. لهُ في مكتبة باريس (Ms. 280[3]) اخبار روحيّة

٨٦٢ ﴿يوساب﴾ مطران دَرْجا واخميم كان في القرن الخامس عشر. لهُ في مكتبة باريس (ROC, XIV, p. 176, n° 4711) سبعة وعشرون ميمرًا في المعتقدات النصرانيّة. ثم (ibid., p. 187, n° 4790[8]) بيان الديانة المسيحيّة وجدال مع بعض المسلمين

٨٦٣ ﴿يوسف الاوّل﴾ بطريرك الكلدان المتوفّى في رومية سنة ١٧٠٧ (اطلب ترجمتهُ في المشرق ٣ [١٩٠٠] : ٨٧٨—٨٨٠) لهُ في المكتبة الفاتيكانيّة مقالة في المعموديّة والتوبة

٨٦٤ ﴿يوسف الثاني﴾ بطريرك الكلدان المتوفّى في ديار بكر سنة ١٧١٣